بعد أن فقد ثقته في كل شيء:

جودت فخر الدين: الشعر خشبة الخلاص الوحيدة

■،، بيأس كبير يتحدث الشاعر اللبناني المعروف جودت فخر الدين عن الحياة بعد أن أوصلته تجربته إلى حالة من عدم الثقة والتشكيك في كل شيء.. لكن حينما تسأله عن الشعر تشرق عيناه، فالشعر الذي هو تعويض عن الخسارات في حقول أخرى بالنسبة له يمثل خشبة الخلاص الوحيدة.

تجربته الشعرية الثرية بالكثير من الخبرة، جعلته يتفرد من بين شعراء جيله بمفرداته، وربما بمغامراته في استخدام مفردات لطالما تجنبها الشعراء.. يطوعها ويصقلها وينعمها مثل معماري ماهر ينحت أحجاراً من فوضى الصخر.

حاوره/ محمد السياغي

وكما يرى المهتمون بشعره: فإنه ومنذ أن كتب عن الباب والراديو والشرفة في «قصائد خائفة» لا يزال جودت فخر الدين يكتب عن الأصدقاء والكتب والخريف والانتظار ،ناظراً إليها من زاوية شخصية وحميمية، كأنه يبطئ الزمن أو هو يجذبه إلى دائرة وجدانه الذي يعصى على العقلانية والخطابة والمنبرية، ولذلك فهو يصفي اللغة والعبارة الشعرية من جميع ما يعلق بها، حتى تتحول فقط إلى صوت ذلك الناي الذي يحمله وينتحي به ركناً قصياً كما كان يفعل الشعراء منذ آلاف الأعوام.

وإلى جانب رفده للمكتبة العربية بالكثير من الإصدارات المتميزة في مجالات نقدية وفكرية مختلفة.. وكتاباته الدورية في عدد من الصحف العربية.. صدرت له سبعة كتب شعرية كان آخرها "أربع قصائد لليمن" وهي المجموعة التي جاء صدورها مؤخراً ضمن إصدارات صنعاء الثقافية تزامناً مع زيارته لليمن.. حيث كان «الملحق الثقافي» قد زاره في مقر اقامته بالفندق قبل مغادرته.. ورأيناه جالساً إلى جانب الدكتور حاتم الصكر في صالة الاستقبال وبيده على خده.. وقد بدا واجماً مكتئباً، مشتت الذهن، أنهكه تفكيره ربما بعد جلسة مقيل دافئة.. لكنه لم يهزمه..

سألني قبل أن أبدأ: لماذا تصر على هذا الحوار؟ هل يعني لك شيئا إذا لم نفعله؟ أجبته: يعني لي الكثير يا أستاذ جودت.. ابتسم في وجهي محاولاً اقناعي بالعدول عن محاورته متسائلاً: "شو بدك تسألني"؟ فأجبته: أمامي الكثير من الأسئلة والتساؤلات؟ عدل عن طلبه بعد أن وعدته بأسئلة غير استفزازية.

وبعد أن بدأت تجهيز مسجلي للحوار عاود متسائلاً: «أنت متحمس»؟ أجبته نعم. فأردف "أيش اللي يضمن لي عدم الأخطاء وعدم خروج الحوار مشوه"؟ نحن دائماً ما نقع في أخطائكم يا صحافيين!! وعدته بتحري الدقة. فودع الدكتور حاتم. وبدأت الحوار معه بعد أن وافقني على إجراءه في غرفته تحاشياً للضوضاء التي يعج بها الفندق.

● أستاذ جودت.. أبدأ من النظرة التشاؤمية اليائسة التي لاحظتها في نبرة كلامك معي عن الحياة على المصعد، والتي تتجلى بوضوح في القصائد الأخيرة التي كتبتها وقرأتها على هامش صباحيتك الشعرية في بيت الثقافة؟ يا ترى ما سرها؟

– بعصبية أجاب: أولاً من قال لك أن عندي نظرة تشاؤمية أو يائسة؟ ليس لدي نظرة تشاؤمية أو يائسة! فقط هناك خبرة أو تجربة في الحياة أوصلتني إلى عدم الثقة في شيء.. إلى الحذر من كل شيء.. واظن أن كل شخص يبلغ مرحلة معينة من العمر يصبح في مثل هذه الحالة، التي تجعله وكما قلت على حذر من كل شيء.. ونحن في بلادنا العربية أوضاعنا العربية كلها سيئة.. وليس هناك ما يشجع! ولذلك نتعامل مع كل الأمور بشيء من التحفظ.

– أما ما تجده في قصائدي من نزعة إلى التعامل مع الأشياء بتشكيك ما.. أو بعدم ثقة فذلك يعود إلى أن في شعري نزعة للتأمل في معنى الوجود.. بعض الذين قرأوا في شعري يجدون نزعة فلسفية نوعاً ما.. وكل نزعة من هذا النوع تنضوي على شيء يوحي بالتشاؤم، أو بما يقارب اليأس إذا شئت.

● هل حالة عدم الثقة والتشكيك هذه تشمل الشعر أيضاً؟

– لا.. الشيء الوحيد الذي أثق به هو الشعر.. الشعر الذي هو طريقة في الحياة.. الشعر الذي هو تعويض عن الخسارات في حقول أخرى.. فالشعر في نظري هو خشبة الخلاص الوحيدة، أو الأخيرة.. بهذا المعنى أثق بالشعر واستنجد به.. لأن الشاعر يشعر من خلال الكتابة بأنه يعيد تشكيل العالم .. فيشعر بنفسه مساهماً في ذلك الخلق الذي يتوهمه وهذا هو التعويض الذي يقدمه الشعر.

● بعيداً عن الخسارات.. يا ترى ما هو التعويض الذي تحصل لك من تجربتك الشعرية؟

– الثمرة أو النتيجة إذا شئت،، هي لغة مصقولة نوعاً ما مخففة من نافل القول... تعبير دقيق وعميق يتميز بالبساطة وليس بالتعقيد.. لأني اعتبر البساطة في الشعر أصعب من التعقيد.. فمن السهل أن يكون الشاعر معقداً في عباراته. لكن من الصعب أن يكون بسيطاً.. وبعد تجربتي في الكتابة أستطيع أن أقول أنني توصلت إلى نوع من اللغة المصقولة البسيطة.

● أشرت في كلامك إلى نقطة هامة، سبق وان اعتبرها المهتمون بتجربتك ميزة تميزك عن شعراء جيلك وهي لغتك الشعرية، وتحديداً ما وصفوه ربما بمغامراتك في استخدام مفردات لطالما تجنبها الشعراء غيرك.. هل معنى ذلك انك تتفق معهم بواحدية هذه الميزة فقط؟

–طبعاً المفردات كمفردات موجودة وشائعة، وهي ملك للجميع.. الشاعر يتفرد بطريقة تعبيره.. بلغته الشعرية، وأنا دائماً ألح على مصطلح أفضله عن غيره من المصطلحات الأدبية الشعرية هو: مصطلح اللغة الشعرية.. فالشاعر يتميز بلغته الشعرية.. واللغة هنا ليست مجرد مفردات، ولا حتى صبغ أو تعابير.. اللغة هي طريقة في التنفس... هي طريقة في الرؤية.. لا يرى الشاعر إلا من خلال لغته الخاصة. لذا هي طريقة في التفكير.. وعندما نقول الشاعر يتميز بلغته الشعرية إذاً هو يتميز بتفكيره ورؤاه، وبطريقته في التأمل، وفي النظر والرفض والقبول والحب.. واليأس إذا شئت.. وفي كل شيء..

● هل يعني هذا أنك تعتبر تفردك هذا ذا قيمة في إثراء تجربتك الشعرية؟

– بالتأكيد كما قلت.. التجربة الشعرية كلها يمكن أن تتمثل باللغة الشعرية.. ولا معنى لتجربة شعرية إذا لم تتميز بلغة شعرية.. الشاعر هو لغته الشعرية المتميزة.

● لكن هل معنى ذلك أن لغة الشاعر كافية لإغناء تجربته؟

–اللغة هي منظومة متكاملة، تكون حصيلة تراكم معرفي يتكون من الإطلاع الدائم والقراءة والثقافة والاستزادة المستمرة من مناهل المعرفة عموماً.. وأنا عندما أدعو لأن يكون لكل شاعر لغته التي يتميز بها عن غيره من الشعراء.. أدعو إلى تكوين هذا الرصيد والتراكم المعرفي وربطه دائماً بالتواصل مع الشعر.. وبهذا تتكون لديه طريقة خاصة في تعامله الشعري.. أستطيع القول أنها هي اللغة.

● يا ترى ما هو مشروعك؟ وما مكوناته؟ وما هي المرجعية التي شكلت رؤيتك الشعرية؟

– الشاعر الحقيقي دائماً مشروعه أن يتجدد.. الاستمرار... أن لا يكرر في كتاباته. وبالنسبة لي أحاول دائماً أن أفتح آفاقاً جديدة في كتاباتي الشعرية... وأظن بأن القصيدتين اللتين قرأتهما خلال الصباحية الشعرية، وهما أحدث ما كتبت، فيهما ما هو جديد بالنسبة إلى تجربتي الشعرية.. وهذا ما أسعى إليه دائماً.. فإذا حقق الشاعر ما يتوهم بأنه جديد من قصيدة إلى قصيدة معنى ذلك أنه يحقق مشروعه في الكتابة وفي الحياة.

– وبالنسبة للمرجعية فقد قرأت معظم الشعر العربي، ومنذ الصغر تجدني متأثراً بعيون القصائد العربية وأهمها الشعر الجاهلي.. الشعراء العباسيون مثل أبي تمام والمتنبي والبحتري وما إلى ذلك، ومازلت على صلة مستمرة بهذا الشعر العربي القديم.. لكن بالنسبة للشعر الحديث فأنا أدرسه في الجامعة.. ولهذا تجد أنني أستطيع أن أقول أنني اعرفه جيداً وأعرف كيف انتقده أيضاً.

● لكن ألا ترى في ذلك تناقضاً بين ما شكل رؤيتك واتجاهك الشعري؟

– لا أرى في ذلك تناقضاً.. وإذا كنت تشير إلى الفروقات بين الشعر الحديث والقديم.. خذ مثلاً القصيدة الحديثة لم تعد ذات موضوع كما كانت عليه القصيدة القديمة.. وهي بلا موضوع لأنها تحتضن كل المواضيع بمعنى آخر القصيدة الواحدة يمكن أن تتكلم في أكثر من موضوع.. وهنا يمكن أن تقول عنها بأنها ذات موضوعات متعددة أو بلا موضوع.. والشاعر العربي يتكلم في قصيدة ما عن كل القضايا العربية المطروحة..ولكن قد يكون تعبيره على نحو ما غير مباشر ليس كتناول الصحفي والسياسي أو المفكر.

● يا ترى ما هو موضوعك أنت بعد أن كتبت عن الراديو والشرفة في "قصائد خائفة"؟

– جيد أنك ذكرت هذا السؤال ما يعني أنك مطلع.. في هذه المجموعة التي أشرت إليها أجواء من الحرب اللبنانية التي عانينا منها طويلاً.. وفيها تناولات للأشياء التي كنا نتركها هرباً من الحرب ثم نعود إليها بعد فترة.. فنراجع علاقتنا بها.. ويمكنك أن تتصور أن الخائف عندما يترك بيته هرباً من الحرب ثم يعود له بعد أسبوع أو أسبوعين.. كيف يمكن أن يتعامل معه من جديد؟ هكذا حاولت في هذه المجموعة أو بعض قصائدها أن أتعامل مع الأشياء وأراجع علاقتي معها.

● لكن لم تجاوبني ما هي موضوعاتك الشعرية أنت؟

– كما أن الشاعر لا يضع خطة؟ ولا يعرف متى يكتب؟ ومتى تأتي اللحظة المناسبة للكتابة؟. كذلك ليس لدى الشاعر لائحة بالموضوعات.. فالموضوعات تستمد من التجربة الحية الحياتية.. فيمكن أن يكتب الشاعر قصيدة عن الحب في لحظة معينة لم يكن يتوقعها، وبعد ذلك تجده يكتب بعد فترة قصيدة في موضوع آخر تأتي في ظروف حياتية أخرى لهذا لا أستطيع أن أحدد لك قضية معينة.

● بعض النقاد ينتقدك بأنك مازلت تكتب عن الأصدقاء والكتب والخريف والانتظار على اعتبار ذلك تنحياً عن القضايا الأساسية ما هو ردك؟

– وما هي القضايا الأساسية.

● المقاومة ضد الاحتلال مثلاً التي كنت أحد رموزها في الجنوب اللبناني، الأوضاع العربية الراهنة؟ بمعنى آخر ملامسة هموم رجل الشارع العربي العادي؟

– هذا الكلام غير صحيح.. وكل القضايا التي نعانيها نحن العرب يمكن أن تحضر في القصيدة.. في كل قصيدة على نحو تلقائي وبصورة غير مباشرة أحياناً.. والشاعر يكتب في كل الموضوعات بلغته ورؤيته الخاصة.. أما بالنسبة لما أشرت إليه حول شعراء المقاومة.. نحن الشعراء الذين أتينا من جنوب لبنان حسبنا في فترة معينة شعراء مقاومة، واطلق علينا اسم شعراء الجنوب، وكانت هذه التسمية في الحقيقة تسمية سياسية ربطتنا بالقضية في الجنوب، وطبعاً هناك أمور تربط فيما بيننا من حيث الهموم المشتركة.. ولكن هناك فروقات كبيرة بين الواحد والآخر مما سمي بشعراء الجنوب.. يعني التسمية لا تقوم على أساس فني لأنه لايوجد علاقة فنية قوية فيما بيننا.. وإنما تقوم على أساس سياسي أو إذا شئت جغرافي.

● هل يعني هذا أن لك موقفاً من هذه التسمية؟

– أنا أرفض التسمية من ناحية فنية.. وأرى أن هناك فروقات فيما بين الواحد والآخر ممن اطلق عليهم بشعراء الجنوب.

● وترفض دلالتها المرتبطة بشعراء المقاومة أيضاً؟

– بالنسبة إلى مصطلح شعراء المقاومة في رأيي أن شعر المقاومة لا يكفي ان يحتضن موضوع المقاومة ليكون مقاوماً.. المقاوم حقاً هو الذي يعطي قيمة للموضوع ولا يستمد قيمته من الموضوع.. ومعظم ما كتب عن المقاومة مثلاً ليس جيداً.. والشعر المقاوم هو الشعر الجيد.. هو الشعر الذي يستطيع أن يتجدد أو يتطور.. ولا يكون مقاوماً فقط لأنه يتكلم عن موضوع المقاومة.. وبهذا المعنى أنا أحب أن يكون شعري شعراً مقاوماً.. لأن هذه الصفة بالمعنى الفني صفة حسنة.. مقاوم يعني أنه يستطيع أن يتجدد ليس بمعنى أنه يرتبط بمعنى موضوع معين.

● لو انتقلنا إلى مجموعتكم الأخيرة الصادرة عن وزارة الثقافة «أربع قصائد إلى اليمن» يا ترى كيف استطعتم من خلال زيارتكم استلهام وتشكيل هذه الرؤية الرائعة والفيض المتدفق عنها؟

– هذه القصائد كنت قد كتبتها خلال زياراتي المتكررة إلى اليمن التي وصلت إلى تسع زيارات تمت على مدى أكثر من عشر سنوات.. جئت في المرة الأولى عام ١٩٩٢م وطبعاً لأن الزيارة لكل بلد أنت تزوره للمرة الأولى تكون فيها الدهشة الأولى.. ما زلت أذكر أن رحلتي الأولى كانت هي الأكثر إلهاماً.. وقد أحببت اليمن منذ تلك الزيارة التي استمرت نحو شهر تقريباً والتي اعتقد بأنها كانت كافية لأن استلهم كل ذلك عن اليمن.. وطبعاً في بداية الزيارة كتبت القصيدة الأولى وفي نهاية الزيارة كتبت القصيدة الثانية من تلك المجموعة، التي عنوانها جلسة في صنعاء القديمة، وأذكر أن هذه القصيدة كتبتها مباشرة بعد جلسة مقيل في أحد البيوت القديمة في صنعاء القديمة كان الجو كما أذكر ساحراً بعد الغروب المهتني هذه القصيدة وهي مهداه إلى الدكتور عبدالعزيز المقالح الذي دعاني في المرة الأولى، وفي مرات أخرى وهو الذي تسبب في تلك الجلسة الصنعانية.

● وبماذا الهمتك هذه الزيارة يا ترى على أهميتها؟

– والله حتى الآن كتبت قطعة نثرية.. والكاتب في الأدب ليس مثل الصحافي الذي يمكن أن يكتب مقالة.. بالنسبة لي لم أعمل في الصحافة، كتبت مقالات في بعض الدوريات لكني لم أعمل صحفياً.. وعملي في الجامعة في التدريس.. وفي هذا الزيارة بدأت بكتابة قطعة نثرية سوف أعبر فيها عن انطباعاتي التي تحصلت عليها في هذه الزيارة.

● خلال زيارتك لليمن هذه، منحت تذكار صنعاء عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٤م ماذا يعني لك هذا التكريم؟

– هذا التكريم أقدره كثيراً وقد فرحت خاصة لأنه كان بمناسبة صدور كتابي أربع قصائد إلى اليمن.. وهذا الكتاب بفضل صديقي خالد الرويشان وزير الثقافة والسياحة وهو صاحب الفضل الأول في صدوره.. وحقيقة صداقتي بخالد الرويشان قديمة وأنا اعرفه منذ أكثر من سبع سنوات وهناك صداقة حميمة وطبعاً أنا أحبه وأشكره على أفعاله في مناسبة تكريمي.

● وبالنسبة لصنعاء يا ترى هل هناك ما تقوله لها بهذه المناسبة؟

– بالتأكيد صنعاء المدينة التي أحببتها والتي أتمنى لها أن تبقى عاصمة ثقافية على الدوام ولا تكتفي بعام أو عامين لكي تثبت تميزها ومكانتها.. صنعاء من العواصم التي بإمكانها أن تكون عاصمة ثقافية على الدوام نظراً لتراثها الغني تراث اليمن الذي له جذور عميقة في التاريخ.. وهذا التراث يمكن لو استلهمناه، ولو كشفنا عن كنوزه لفتحنا آفاقاً جديدة لثقافة حديثة.. ثقافة متطورة.. أما النشاطات الثقافية التي أقامتها وزارة الثقافة بمناسبة يوميات صنعاء الثقافية أمل لها أن تفتح آفاقاً أمام تطلعات المثقفين اليمنيين.. أمل لهم أن يفكروا فيما تتطلبه الثقافة اليمنية الراهنة، النواقص، التطلعات، الآفاق التي يمكن أن تتحرك فيها الثقافة اليمنية الحديثة أو الراقية.

هذا ما أمله لصنعاء وأشكر مرة أخرى كل من ساهم في مناسبة التكريم التي أقيمت لي في هذه الزيارة وطبعاً على رأسها الأستاذ خالد عبدالله الرويشان وزير الثقافة والسياحة.

● أخيراً أستاذ جودت يا ترى كيف تقيم علاقتك بالصحافة والصحفيين؟

– والله علاقتي بهم جيدة.. والصحافة بصراحة تهمني.. لكن في بعض الأحيان هناك صحفيون يتربصون ويتصيدون الأخطاء مع احترامي الشديد للبقية.

إشعاع الجمال الرائع.. صنعاء ويافع

سالم محمد حسين •

■.. انعقاد مؤتمر العمارة اليمنية (صنعاء عراقة مدينة) الذي يأتي في سياق فعاليات صنعاء عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٤م خلال الفترة ٤ – ٨ سبتمبر يشكّل حدثاً مهماً في اطار التوجهات الوطنية العامة للاصلاح والتحديث.

وعلى هامش أعمال هذا المؤتمر يقام معرض للصور الفوتوغرافية حول طراز المعمار اليافعي في فن العمارة اليمنية من خلال مبادرة وجهود عدد من أبناء منطقة يافع وبتعاون مشكور من وزارة الثقافة والسياحة ومن بعض الجهات والشخصيات المعنية والمهتمة، ولاشك أن هذا المعرض يشكّل اضافة نوعية ومميزة لأعمال المؤتمر.

ونجدها فرصة طيبة من على صفحات جديدة «الثورة» الغراء للحديث الموجز وطرح بعض الآراء حول فن المعمار اليافعي الفريد والمتميز في الاطار العام لفن المعمار اليمني المتنوع والثمين.

ينتمي المعمار اليافعي الى نمط البناء الجبلي – الحجري الذي يتفاعل مع معطيات الموقع والمناخ والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسكان ومع دروس وخبرات الأجيال، وقد انعكس في فن المعمار والبناء اليافعي عبقرية وأصالة التفاعل الانساني الخلاق بين الانسان وواقعه وبيئته بما يلبي متطلبات وحاجات المعيشة والحياة الانسانية بمختلف مستوياتها من جانب، ويحافظ على توازن صحي وسليم مع معطيات وأحكام الموقع الجغرافي والمناخي والبيئي من الجانب الآخر.

ومن هذا المنطلق فقد اعتمد الانسان اليمني في منطقة يافع في فن المعمار والبناء على موارد واقعه وهي بصورة رئيسية الأحجار التي يتم استخراجها من مواقع ومن نوعيات محددة وتم استغلالها بصورة مثلى في مختلف جوانب عملية البناء لتقلل الى أبعد حد ممكن من استخدام مادة الطين العزيزة والقليلة في تلك المرتفعات الجبلية الشاهقة، كما راعى بناء المنازل وهندستها أهمية حصول المبنى على الكمية الضرورية الكافية من أشعة الشمس ومن الضوء والدفء ومن حركة دخول وخروج الهواء، ويراعي المعمار اليافعي العديد من الظواهر الطبيعية الأخرى مثل: الزلازل، والهزات، والانزياحات الأرضية، والصواعق، والسيول.

ان البناء في منطقة يافع كنمط للمعمار في المجتمعات والتجمعات الجبلية في بلادنا يتقاسم العديد من السمات مع بقية المناطق المشابهة، لكنه في نفس الوقت يتميز من بينها بعدد من الخصائص المتفردة، ويمكن القول بأنه يماثل المعمار والبناء الذي تنفرد به حضرموت ومدينة شبام تحديداً من بقية المناطق اليمنية الأخرى ذات نمط البناء الطيني الذي حظي بالاهتمام الداخلي والخارجي والذي نأمل بأن يشكل مؤتمر العمارة اليمنية الحالي منطلقاً لاهتمام مماثل في نمط البناء الحجري وفيها طراز المعمار في يافع.

ومن هنا نجدها فرصة سانحة للفت الانتباه الى بعض المستجدات والمظاهر السلبية التي يعيشها نمط المعمار اليافعي ومن أبرزها التوسع الأفقي في البناء وادخال مواد بناء غير حجرية، واندثار البناة المحترفين، والخروج عن قواعد البناء التقليدي المجرب مع الحفاظ على المظاهر الشكلية في أحسن الأحوال.

اننا نرى أن الهدف من اقامة معرض الصور الفوتوغرافية حول طراز المعمار اليافعي لأول مرة وفي اطار فعاليات عمل مؤتمر العمارة اليمنية، انما يتمثل ويتجسد بتوجيه الدعوة لكافة الجهات المختصة والمعنية والمهتمة بالتراث المعماري وبالهندسة المعمارية للاهتمام بنمط المعمار الحجري الجميل والأصيل في مناطق يافع باعتباره تراثاً يمنياً حضارياً عريقاً وكجزء من جهود التأصيل والتحديث والتطوير.

وهذه الدعوة موجهة للأخوة في قيادات السلطة المحلية على مستوى المديريات والمحافظات والى السلطات المركزية من وزارات وجامعات ومؤسسات ومراكز أبحاث وكذا الى المنظمات المدنية غير الحكومية ونتمنى على ضوء هذه الدعوة أن نشهد في الفترة القريبة المقبلة مبادرات وخطوات ملموسة ترتبط عضوياً ووثيقاً مع مجمل خطط وبرامج ومشاريع التنمية الشاملة وعمليات البناء والتحديث.

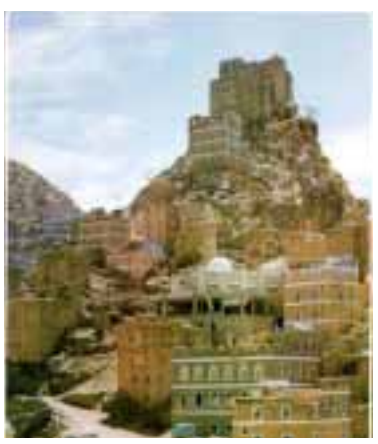

* مستشار مكتب رئاسة الوزراء للشئون السياسية والاعلام